الفصل الثالث

المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم بدبي

- مدخل : لمحة عن تاريخ التعليم في دولة الإمارات
- المبحث الأول : التعريف بالمدرسة.
- المبحث الثاني : نظام المدرسة التعليمي والتربوي.
- المبحث الثالث : العقبات والتحديات.
- المبحث الرابع : المدرسة الإسلامية بين الواقع والمرتجى.

مدخل

لمحة عن تاريخ التعليم في دولة الإمارات

تمتد دولة الإمارات العربية المتحدة المعاصرة ما بين "إقليم البحرين" و"إقليم عمان" بعض أقاليم الجزيرة العربية[١]. ويرتبط تاريخها ارتباطاً وثيقاً بتاريخ عمان، حتى إنها عرفت قديما بـ: "ساحل عمان" أو "عمان الشمالي"[٢]. ولما تشكلت بعض المشيخات على الساحل الشرقي للخليج العربي أواخر القرن الثامن عشر اشتهرت بـ: "إمارات ساحل عمان"، وقد أطلقت عليها بريطانيا عدة أسماء منها: "الإمارات المتصالحة"[٣].

ويرجع تاريخ الإنسان في هذه المنطقة إلى الألف الثالثة قبل الميلاد كما تشير بعض الدراسات[٤] التي تؤكد وجود حياة بشرية مزدهرة. وقد كان لسكان هذه المنطقة ارتباط وثيق بالشعوب المجاورة شرقا وغربا، وذلك نتيجة اعتمادهم على النشاط التجاري. وقد أثبتت الدراسات وجود آثار عليها كتابات يونانية وكتابات صينية وكتابات فارسية وكتابات حميرية وكتابات عربية قديمة[٥].

ولما ظهر الإسلام ما لبث أهل عمان أن استجابوا لدعوة رسول الله ﷺ ودخلوا في دين الله طواعية دون قتال. وكان لهم دور في نشر الإسلام على سواحل جنوب شرق

---

(١) انظر: عمر، فاروق، الخليج العربي في العصور الإسلامية، دار القلم، دبي، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٦.

(٢) المطوع، عبد الله بن صالح، الجواهر واللآلي في تاريخ عمان الشمالي، تحقيق: فالح حنظل، مطبوعات مركز جمعه الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٢ من مقدمة المحقق.

(٣) المرجع نفسه، ص٣ من مقدمة المحقق.

(٤) قاسم، جمال زكريا، إمارات قديمة ودولة حديثة، دراسة مطبوعة مع مجموعة أبحاث تحت عنوان: دولة الإمارات العربية المتحدة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٧٨م، ص٢٣.

(٥) العبودي، ناصر حسين، دراسات في آثار وتراث دولة الإمارات العربية المتحدة، إصدار المجمع الثقافي، أبوظبي، ط١، ١٩٩٠م، ص٤٣ وما بعدها.

أفريقيا وسواحل جنوب آسيا من خلال حركتهم التجارية المزدهرة. ومما لا شك فيه أنهم اهتموا بالعلم والتعليم من خلال المساجد والكتاتيب وحلقات العلم شأنهم في ذلك شأن سائر المسلمين في الأقاليم الإسلامية كلها.

ومما يؤكد ذلك ما عثر عليه من مخطوطات تعود لقرون مختلفة، كالتي تنسب لرائد الملاحة العربي شهاب الدين أحمد بن ماجد[١] (ت:٩٠٦هـ/١٥٠٠م) الذي نشأ في جلفار[٢] وتلقى علومه على يد والده وجده، كما درس في الكتاتيب وحلقات العلم التي كانت تعقد آنذاك[٣].

إن الباحث في تاريخ التعليم في دولة الإمارات العربية المتحدة يجد أن التطور التاريخي للتعليم فيها قد مر بأربع مراحل:

أولاً: مرحلة بدائية التعليم (الكتاتيب)

وقد امتدت هذه المرحلة لقرون طويلة، واستمرت حتى قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، وكانت تعتمد الأسلوب التقليدي في تعليم الصبيان القراءة والكتابة وشيء من الحساب إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم. وكان المعلم في الكُتَّاب يدعى "المطوع"، وهذا الاسم مأخوذ من التطوع في العمل، ويطلق عادة على "الرجل الصالح الذي يوظف نفسه لخدمة الناس"[٤]. وقد جاءت هذه التسمية تفسيراً لما يقوم به "المطوع" من أعمال إلى جانب وظيفته في تعليم الناشئة، فهو يقوم بمهام

---

(١) أحمد بن ماجد بن محمد السعدي، شهاب الدين، أسد البحر، من كبار ربابنة العرب في المحيط الأحمر وخليج البربر والمحيط الهندي وبحر الصين، من علماء فن الملاحة وتاريخه عند العرب، له مصنفات كثيرة منها: الفوائد في أصول البحر والقواعد، وحاوية الاختصار في أصول علم البحار. انظر: كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، م١، ج٢، ص٥٥.

(٢) قرية مندثرة في إمارة رأس الخيمة قريبة من المدينة، وربما كانت نواة مدينة رأس الخيمة. انظر: عبيد، أحمد محمد، أصول أسماء المواضع التاريخية في الإمارات، من منشورات وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع في دولة الإمارات العربية المتحدة، ط٢، ٢٠٠٨م، ص٢٧.

(٣) شهاب، حسن صالح، أحمد بن ماجد والملاحة في المحيط الهندي، إصدار مركز الدراسات والوثائق في الديوان الأميري برأس الخيمة، د.ط، د.ت، ج١، ص٣٠ وما بعدها.

(٤) الطابور، عبد الله علي، التعليم التقليدي (المطوع) في دولة الإمارات العربية المتحدة، إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، د.ط، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص١٧.

الواعظ والإمام في المسجد والمعالج للمرضى (بالرقية الشرعية)، والفصل بين المتخاصمين والمأذون في مسائل الزواج والطلاق... وهو المرجع في الأمور الدينية والدنيوية وغيرها[١].

وإلى جانب الكتاتيب كانت الحلقات العلمية لتدريس مختلف العلوم تعقد في المساجد أو يخصص لها مكان في بيوت الفقهاء أو في بيوت بعض التجار أو الأعيان في البلدة. وقد شهدت إمارات الساحل العديد من أروقة العلم التي قام بإحيائها العلماء والفقهاء من أهل البلاد أو ممن قدم من الأقاليم المجاورة كالإحساء ونجد[٢]. وظلت الحلقات العلمية زمنا طويلا مصدراً للعلم والفقه، وقد تخرج منها الرعيل الأول من رواد النهضة في الإمارات.

ثانياً: مرحلة صحوة التعليم (المدارس شبه النظامية)

وقد بدأت هذه المرحلة مع مطلع القرن العشرين واستمرت حتى العقد السادس منه. حيث شهدت تأسيس العديد من المدارس الأهلية الحديثة، التي كانت أشبه بالمدارس النظامية لأنها أخذت شيئا من التعليم الحديث أو النظامي وصارت "تقدم للطلاب علوما شتى في التاريخ والجغرافية والتفسير والفقه والنحو والحديث والتهذيب والكتابة والإملاء والحساب..."[٣].

ويرجع الفضل في تأسيس هذه المدارس الأهلية إلى بعض تجار اللؤلؤ الذين اطلعوا على صورة الحضارة الغربية في بومباي، وكان لهم اهتمام بالعلم والمعرفة نتيجة تأثرهم بالحركات الإصلاحية التي انتشرت في البلاد العربية، وخصوصا بعد التمكن من فك العزلة التي فرضتها بريطانيا على المنطقة آنذاك، وتعزيز جسور الصلة مع مصر والشام بعد فتح قناة السويس.

وقد كان لإمارة الشارقة قصب السبق في تأسيس أول مدرسة أهلية في المنطقة

---

(١) المرجع نفسه، ص٤١، بتصرف.

(٢) بله، حسن علي عبد الله سالم، نشأة وتطور التعليم في الإمارات العربية المتحدة، من منشورات ندوة الثقافة والعلوم، دبي، ط١، ١٩٩٦م، ص١٠١.

(٣) الطابور، عبد الله علي، التعليم التقليدي (المطوع) في دولة الإمارات العربية المتحدة، (مرجع سابق)، ص٢٣٧.

وهي المدرسة التيمية المحمودية التي أسسها الشيخ علي بن محمد بن علي المحمود[١] عام ١٩٠٧م، وكان عدد طلابها قرابة ٤٥٠ طالب من مواطنين ووافدين، وكان التعليم فيها مجانا مع توفير الإقامة للوافدين[٢]. ثم تلتها إمارة دبي حيث قام الشيخ أحمد بن دلموك[٣] بتأسيس المدرسة الأحمدية عام ١٩١٠م ولكنه وافته المنية قبل أن يكتمل بناؤها، فخلفه في ذلك ولده محمد، وافتتحها عام ١٩١٢م، وقد بلغ عدد طلابها ٣٠٠ طالب، وكان التعليم فيها بالمجان للطلبة الفقراء، أما القادرون فيدفع الطالب منهم قسطاً شهرياً زهيداً[٤]. وأما في إمارة أبو ظبي فقد أُسست مدرسة ابن عتيبة[٥] في تلك الفترة على اختلاف في تاريخ إنشائها. وبعدها أسست العديد من المدارس في إمارات الساحل.

ولكن هذه المدارس الأهلية لم تعمر طويلاً فسرعان ما تراجعت متأثرة بسوء الأحوال الاقتصادية وتراجع تجارة اللؤلؤ في الثلاثينات، مما أدى إلى إغلاق معظمها

---

(١) الشيخ علي بن محمد بن علي المحمود التميمي، ولد في الشارقة عام ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م. من أشهر تجار اللؤلؤ في منطقة الخليج، وله صلات بالملوك والأمراء، عرف بالتقى والإحسان وحب الخير ومحاربة الباطل ونشر المعرفة، فتح مجلسه للعلماء، وأرسل بعثات دراسية إلى قطر على نفقته الخاصة، توفي في رأس الخيمة عام ١٩٣٧م. انظر: الطابور، عبد الله علي، رجال في تاريخ الإمارات، المطبعة الوطنية، دبي، ط١، ١٩٩٣م، ص١٥ وما بعدها.

(٢) الطابور، عبد الله علي، التعليم التقليدي (المطوع) في دولة الإمارات العربية المتحدة، (مرجع سابق) ص٢٥٤ وما بعدها.

(٣) الشيخ أحمد بن دلموك بن سعيد بن عبد الله من آل بوفلاسة. من كبار تجار اللؤلؤ البارزين في الخليج العربي، اشتهر بكرمه وتواضعه، كان بيته قبلة الوافدين ومأوى الفقراء، كان محبا للعلم والعلماء، اهتم بطباعة الكتب، وبنى مسجدا عرف باسمه، وأسس مدرسة الأحمدية في منطقة الراس بدبي، (ت:١٩١١م). انظر: الشيخ، د.عارف، تاريخ التعليم في دبي، مطبعة بن دسمال، دبي، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص١٠٩ وما بعدها.

(٤) الطابور، عبد الله، التعليم التقليدي (المطوع) في دولة الإمارات العربية المتحدة، (مرجع سابق) ص٢٤٣.

(٥) الشيخ خلف بن عبد الله بن سيف بن بطي بن عتيبة الياسي، ولد عام ١٨٣٥م، أحد أساطين تجارة اللؤلؤ في الخليج العربي، فتح المجالس للعلماء واستقدمهم من المناطق المجاورة على نفقته الخاصة، توفي عام ١٩٢٦م. انظر: الطابور، عبد الله علي، التعليم التقليدي (المطوع) في دولة الإمارات العربية المتحدة، (مرجع سابق) ص١٧٩ وما بعدها.

لفترات مختلفة[١]. بخلاف بعض المدارس التي تلقت دعما حكوميا كالمدرسة الأحمدية التي ظلت تستقبل طلابها في هذه الفترة بفضل حاكم دبي الذي تولى تمويلها والإنفاق عليها[٢]. كما أمر بتأسيس عدة مدارس، وجعل نفقتها على الحكومة[٣]، وفي عام ١٩٣٨م أصدر قرارا بتأسيس أول دار للمعارف، وتعيين مدير عام للإشراف على مدارس الإمارة[٤]. ومع تحسن الأحوال الاقتصادية أعيد فتح بعض المدارس بمساندة حكومية

وفي تلك الفترة سعى كثير من الطلبة المتخرجين من تلك المدارس لمتابعة دراستهم خارج الإمارات على نفقتهم الخاصة أو على نفقة بعض التجار، حيث "رحل بعضهم إلى قطر ودرس في المدرسة الأثرية، ومنهم من ذهب إلى فارس (لنجة) والجزر العربية التي كانت تزخر بالعلم والعلماء والفقهاء والأدباء، وهناك من ذهب إلى الهند، ودرس عند أهل الحديث، ومنهم من ذهب إلى الموصل وبغداد، وآخرون انتشروا في نجد والإحساء ومكة المكرمة"[٥].

وإلى جانب تلك المدارس كانت مجالس العلم والتحصيل قائمة في منازل العلماء والمشايخ في مختلف الإمارات[٦]. كما أنشئت العديد من المكتبات الخاصة كالمكتبة الوطنية والمكتبة القاسمية في إمارة الشارقة، كما قام بعض التجار بتوفير المجلات والصحف التي كانت تصدر في مصر والشام[٧].

---

(١) عبد الله، محمد مرسي، دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها، دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٥٣.

(٢) السويدي، موزة غيث، وآل خالد، ابتسام عبد الأمير، تاريخ التعليم في الإمارات خلال الحقبة الزمنية ١٩٠٠ - ١٩٩٣م، وزارة التربية والتعليم، إدارة المعلومات والبحوث، د.ط، ١٩٩٣م، ص٢٥.

(٣) العاصي، محمد مطر، مسيرة التعليم في دولة الإمارات العربية المتحدة، مطابع البيان، دبي، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٢٥.

(٤) الطابور، عبد الله، التعليم التقليدي (المطوع) في دولة الإمارات العربية المتحدة، (مرجع سابق) ص٢٤٩.

(٥) الشيخ، د.عارف، تاريخ التعليم في دبي، (مرجع سابق)، ص١٨٢.

(٦) السويدي، موزة غيث، وآل خالد، ابتسام عبد الأمير، تاريخ التعليم في الإمارات خلال الحقبة الزمنية ١٩٠٠ - ١٩٩٣م، (مرجع سابق)، ص٢٤.

(٧) بله، حسن علي عبد الله سالم، نشأة وتطور التعليم في الإمارات العربية المتحدة، (مرجع سابق) ص١٢٦.

ثالثاً: مرحلة تحديث التعليم (المدارس النظامية)

بدأت هذه المرحلة مع وصول أول بعثة تعليمية كويتية إلى إمارة الشارقة بطلب من حاكم الشارقة عام ١٩٥٣م[١]، وفي ذلك العام افتتحت مدرسة القاسمية، وهي أول مدرسة تمثل التعليم النظامي الحديث أو الحكومي في الإمارات، تبعتها في العام التالي مدرسة للبنات[٢]. وفي عام ١٩٥٦م وصلت بعثة تعليمية كويتية أخرى إلى إمارة دبي، واعتمدت المدرسة الأحمدية لتكون أول مدرسة نظامية في إمارة دبي، ثم تلتها مدرسة الخنساء للبنات[٣].

وما لبثت أن توالت البعثات التعليمية من الكويت وقطر ومصر والأردن وغيرها من البلدان العربية. وتجدر الإشارة إلى أن دولة الكويت أولت أهمية بمتابعة التعليم في إمارات الساحل، وقدمت الدعم اللازم بالتعاون مع الحكومات المحلية ودوائر المعارف، كما أنشأت لها في دبي عام ١٩٦٤م مكتبا للإشراف على التعليم وافتتاح المدارس وصرف رواتب المعلمين[٤]. حتى بلغت ميزانية التعليم الكويتي في الإمارات الشمالية للعام الدراسي ٦٤/٦٥م حوالي نصف مليون دينار كويتي[٥].

وفي عام ١٩٦٢م "اكتملت المراحل التعليمية الثلاث، بخلاف امتحانات شهادة الثانوية العامة التي كانت تقدم في دولة الكويت، واستمرت حتى عام ١٩٦٧م حين عقدت الامتحانات على أرض الدولة[٦].

وكان التعليم منظماً في مدارس وفصول ومقررات إلى جانب تقويم الطالب ومنحه شهادة دراسية في نهاية العام الدراسي. و"لقد اشتملت المناهج الدراسية على المواد والمقررات الكويتية وهي: اللغة العربية وآدابها، والاجتماعيات،

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٢٨.

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) الشيخ، د.عارف، تاريخ التعليم في دبي، (مرجع سابق)، ص١٩٧.

(٤) بله، حسن علي عبد الله سالم، نشأة وتطور التعليم في الإمارات العربية المتحدة، (مرجع سابق)، ص١٣٠.

(5) K. G. Fenelon, The U.A.E. An Economic and Social Survey. Longman, London, 1973, p99.

(٦) نايل، سيف كمال، عبد الحميد، سامح، التعليم في الإمارات خلال قرن من الزمان، إدارة العلاقات العامة والإعلام التربوي بوزارة التربية والتعليم، أبوظبي، ١٩٩٣م، ص٦٦

والرياضيات، والعلوم، والتربية الفنية، والتربية البدنية، واللغة الانجليزية، والدين الإسلامي"[١].

وقد شهدت هذه المرحلة ازدياداً واضحاً في أعداد الطلبة في المدارس النظامية في مختلف الإمارات حيث بلغ في العام الدراسي ٧٢/٧١م (٣٢٨٧١) طالبا وطالبة، وبلغ عدد المعلمين (١٥٨٧) معلماً ومعلمة[٢].

رابعاً: مرحلة تنظيم التعليم (تطويره)

وتعد هذه المرحلة الانطلاقة الكبرى للتعليم في دولة الإمارات، يوم أعلن عن قيام دولة الاتحاد في الثاني من ديسمبر لعام ١٩٧١م. حيث قامت دولة الكويت مع نهاية العام الدراسي٧٢/٧١م بتسليم أربع وسبعين مدرسة للحكومة الاتحادية في الإمارات[٣]، وقد تولت وزارة التربية والتعليم والشباب مسؤولية الإشراف على التعليم في مراحله المختلفة.

وفي هذه الحقبة شهدت دولة الإمارات قفزة كبيرة في مجال التعليم أدت إلى تطور التعليم وزيادة نسبة المتعلمين من بين أفراد الشعب، والقضاء على الأمية بين الناشئين. حيث قامت الدولة بسن التشريعات التي تنص على إلزامية التعليم ومجانيته للجميع، وسخرت الإمكانات لدعم مسيرة التعليم، فانتشرت المدارس الحكومية المجهزة بأحدث الأجهزة والوسائل وذات الطراز المعماري الراقي، مع توفير الخدمات الصحية والاجتماعية. كما رخصت لإقامة مدارس خاصة لتدريس المناهج الأجنبية حرصاً منها على تعليم أبناء الجاليات الأجنبية.

ولم تمض سنوات حتى أعلن عن تأسيس جامعة دولة الإمارات عام ١٩٧٧م. تلتها العديد من الجامعات الخاصة. كما استقدمت الدولة البعثات التعليمية من مختلف البلدان العربية لتساهم في تطوير التعليم الحديث في الدولة، وإلى جانب ذلك قامت الدولة بتقديم المنح الدراسية لأبناء الإمارات لمتابعة دراساتهم الجامعية والعليا في العديد من الدول العربية والغربية.

---

(١) بله، حسن علي عبد الله سالم، نشأة وتطور التعليم في الإمارات العربية المتحدة، (مرجع سابق) ص١٢٩.

(٢) التقرير السنوي لوزارة التربية والتعليم (١٩٧٥/٧٤م)، أبوظبي، ١٩٧٥م، ص١١ وص١٣.

(٣) المرجع نفسه، ص١٤.

ومع نهايات القرن العشرين تميزت مسيرة التعليم في دولة الإمارات بإنشاء العديد من المدن الجامعية التي تضم مجموعة من الكليات والجامعات الدولية والخاصة وبمختلف الفروع والاختصاصات، ولجميع الدارسين من مواطنين ومقيمين وزائرين.

***